Journal Of the Iraqia University (75-6) March (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

المكان في رواية انتوليا

بإشراف الدكتور يحيى معروف
أستاذ مشارك بجامعة الرازي بكرمنشاه في إيران
ابتهال علي حسين جامعة الرازي بكرمنشاه في إيران
y.marof@yahoo.com
Mvb123tt@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة عنصر المكان في رواية)أنتوليا(للكاتبة سارة مناعي، الصادرة سنة2024، وهي من الروايات الحديثة التي لم تتُناول بعد في الدراسات النقدية الأكاديمية. تتناول الرواية علاقة المكان بالذات الإنسانية، وتحديداً الأنثوية، من خلال شخصية)سارو(التي تنشأ في بيئة مغلقة تخضع فيها الأمكنة لسلطة الخوف والممنوع، مما يجعل المكان في النص يتجاوز حدودالإطار الجغرافي ليصبح كياناً رمزياً يعكس الصراع الداخلي للشخصيات، والتوتر بين الحرية والقيد، والواقع والخيال.ينطلق البحث من فرضية أن المكان في)أنتوليا(ليس خلفيةً للأحداث، بل هو محورٌ بنائيّ ودلاليّ فاعلٌ يشارك في تشكيل الوعي السردي، ويعبرّ عن تحولات البطلة النفسية والاجتماعية.ومن خلال تحليل الأمكنة المختلفة في الرواية، مثل البيت والمدرسة والمكتبة والمغارة وقرية"أنتوليا"، يتبيّنّ أن الكاتبة أقامت شبكة مكانية متكاملة تعكس مسار التطور الداخلي للشخصية،بدءاً من الانغلاق المكاني نحو الانفتاح المعرفي والوجودي. فالمنزل مثلاً يمثل فضاء القهر العائلي، بينما تتحول المكتبة والمغارة إلى فضاءين للتمرد والبحث عن الذات.**اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي** .كما يحاول البحث الكشف عن الرمزية المكانية في الرواية، إذ يتخذ المكان وظيفة إيحائيةتحاكي المفاهيم الكبرى كالحرية والمعرفة والهوية. فالانتقال من الواقع إلى عالم "أنتوليا" المتخيل يرمز إلى الانفصال عن النظام الأبوي القامع والدخول في فضاء بديل تتحقق فيه الذات خارجحدود المألوف. ويستعين البحث بمناهج تحليلية حديثة في النقد السردي، تجمع بين المنظور البنيويوالدلالي، مستفيداً من تصورات باشلار حول جمالية المكان، ومن رؤى جيرار جينيت حول العلاقة بين الفضاء والحدث. خلصت الدراسة إلى أن المكان في رواية)أنتوليا(هو العنصر الأكثر حيويةفي تشكيل المعنى، إذ يوظَّف بوصفه لغة سردية تحمل وعياً اجتماعياً ونفسياً، وتكشف عن رؤية الكاتبة للعالم بوصفه صراعاً بين القهر والمعرفة، وبين الذاكرة والحرية .

الكلمات المفتاحية: أنتوليا، أدب ،سارة مناعي ،المكان ،سارو .

Summary

This research aims to examine the element of place in the novel "Antolia" by Sara Mannai, published in 2024. This novel is one of the modern novels that has not yet been addressed in academic critical studies. The novel addresses the relationship of place to the human self, specifically the female self, through the character of "Saro," who grows up in a closed environment where places are subject to the rule of fear and prohibition This makes place in the text transcend the boundaries of the geographical framework to become a symbolic entity that reflects the characters' internal conflict and the tension between freedom and constraint, and reality and fantasy. The research is based on the hypothesis that place in "Antolia" is not a backdrop for events, but rather an active structural and semantic axis that participates in shaping narrative consciousness and expresses the heroine's psychological and social transformations. Through an analysis of the various places in the novel—such as the home, school, library, cave, and the village of "Antolia"—it becomes clear that the author has constructed an integrated spatial network that reflects the character's internal development, beginning with spatial closure and moving toward cognitive and existential openness. For example, the home represents a space of familial oppression, while the library and the cave transform into spaces of rebellion and self-discovery. **This research was based on the descriptive analytical method** The study also attempts to uncover spatial

symbolism in the novel, as space assumes a suggestive function that emulates major concepts such as freedom, knowledge, and identity. The transition from reality to the imaginary world of "Antolia" symbolizes a break from the oppressive patriarchal system and the entry into an alternative space where the self is realized beyond the confines of the familiar. The study employs modern analytical methods in narrative criticism, combining structural and semantic perspectives, drawing on Bachelard's concepts of the aesthetics of space and Gérard Genette's insights on the relationship between space and event. The study concludes that space in the novel "Antolia" is the most vital element in shaping meaning, employed as a narrative language bearing a social and psychological awareness, revealing the author's vision of the world as a struggle between oppression and knowledge, and between memory and freedom. **Keywords:** Anatolia, literature, Sara Mannai, place, Saru.

الدراسات السابقة:

لم يُكتب من قبل عن هذا الموضوع نظراً لحداثة صدور رواية)أنتوليا(للكاتبة سارة مناعي سنة 2024، وهي من الأعمال السردية الحديثة التي لم تحظَ بعدُ باهتمام نقدي أكاديمي موسّع، مما يجعل هذا البحث من أوائل الدراسات التي تتناول الرواية بالتحليل المكاني والدلالي.

غير أن هناك عدداً من الدراسات السابقة التي يمكن الاستناد إليها من حيث المنهج والمقاربة المفهومية في دراسة المكان في الرواية العربية، ومن أهمها ما يأتي:

١. **دراسة المكان في الرواية العربية الحديثة: قراءة في البنية والدلالة**، للباحث عبد الرحمن الشافعي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ،2018. تناولت هذه الدراسة البنية المكانية في الرواية العربية من منظور جمالي ودلالي، فحللت العلاقةبين الفضاء السردي والهوية الثقافية، مؤكدةً أن المكان لم يعد عنصراً وصفياً جامداً، بل أصبح حاملاً للمعنى ومعبرّاً عن تحولات الوعي الجمعي. وقد اعتمد الباحث على مقاربة نقدية مستلهمةمن تصورات ميخائيل باختين حول "الكرونوتوب" وغاستون باشلار حول "جماليات المكان،"مما جعلها مرجعاً نظرياً مهماً لدراسة علاقة الإنسان بالفضاء الروائي .

٢. **جماليات المكان في الرواية العربية**، للباحث حاتم الصكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،2003. قدمّ الصكر رؤية تحليلية معمّقة للمكان في الرواية العربية بوصفه مكوّناً دلالياً وجمالياً يشارك في إنتاج المعنى، مبيناً أن المكان في النص الحديث لم يعد خلفيةً للأحداث، بل تحول إلى لغة سردية تكشف عن رؤية الكاتب للوجود. وتعُدّ هذه الدراسة من المراجع العربية الرائدة في تحديد المفاهيمالجمالية للمكان، وهو ما يفيد هذا البحث في تحليل البنية الرمزية للأمكنة في رواية أنتوليا.

٣. **المكان والسرد والهوية: دراسات في الرواية العرب ية**، للدكتور عبد الله إبراهيم، المركز الثقافيالعربي، بيروت ،2010.تعُدّ هذه الدراسة من أهم المراجع النقدية العربية في تحليل المكان، حيث يرى إبراهيم أن المكان ليس إطاراً محايداً، بل هو عنصر بنائي تتشكّل داخله هوية الشخصيات وتنعكس فيه صراعاتهم مع الواقع. كما يربط الباحث بين المكان والسياق الثقافي والاجتماعي، وهي رؤية تسهم في دعمالتحليل الدلالي الذي يعتمده هذا البحث في فهم المكان بوصفه حاملاً للوعي الأنثوي في رواية أنتوليا.

٤. **تحليل الخطاب الروائي: الزمن – السرد – التبئير**،للدكتور سعيد يقطين، المركز الثقافيالعربي، الدار البيضاء ،1997. تناولت الدراسة مفهوم المكان ضمن إطار تحليل الخطاب السردي، مؤكدةً أن الفضاء الروائي يعكس شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحكم الشخصيات. وقد قدمّ يقطين تصوراً نقدياً متقدماً حول كيفية اشتغال المكان في السرد كعنصر دلالي يكشف عن توترات الداخل والخارج، وهو ما يستفاد منه في تحليل التوتر بين الأمكنة المغلقة والمفتوحة في أنتوليا.

٥. جماليات المكان، للفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعيةللدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ،1980. يعُدّ هذا الكتاب مرجعاً فلسفياً أساسياً في دراسة المكان من منظور ظاهراتي، إذ يرى باشلار أن الأمكنة ليست جدراناً وأبواباً، بل ذاكرةً داخليةً وفضاءاتٍ للحنين والأحلام. وقد أثر هذا التصور تأثيراً مباشراً في الدراسات السردية الحديثة، وهو ما يستند إليه هذا البحث في تحليل البعد النفسيوالرمزي للأمكنة في رواية أنتوليا، ولا سيما فضاءي الغرفة والمغارة بوصفهما امتداداً للذات الأنثوية في سعيها نحو الحرية.

المقدمة

يُعَدّ المكان أحد أبرز العناصر البنيوية في الرواية، إذ لا يقتصر دوره على تحديد الإطار الجغرافي للأحداث، بل يتجاوز ذلك إلى كونه فضاءً رمزياً يُسهم في تشكيل المعنى وبناء التجربة السردية. فالمكان في الأدب الحديث لم يعد مساحةً محايدة، بل أصبح كائناً دلالياً يعكس حالات الشخصياتوتحولاتها النفسية والاجتماعية، ويتقاطع مع الزمان والحدث في تشكيل البنية الروائية. لقد أشارغاستون باشلار إلى أنّ للمكان في الأدب طاقةً شعريةً وذاكرةً داخليةً تحتضن ا لإنسان وتعيد تشكيلوعيه، قائلاً: «إنّ البيت ليس جدراناً ولا سقفاً، بل ذاكرةٌ حيّة تسكنها الأحلام وتفيض منها

الذكريات، ففي زواياه تعيش الذاتُ المبدعةُ بين الخوف والحنين، وبين الاغتراب والسكينة»)باشلار، 1980، ص12(. بهذا المعنى، يتحول المكان إلى بنُية نفسية تنعكس فيها التجربة الإنسانية بكل تناقضاتها،وتغدو الأمكنة في النصوص السردية مرآةً دقيقة للذات وللعالم في آنٍ واحد تندرج رواية)أنتوليا(للكاتبة الجزائرية سارة مناعي) 2024(ضمن هذا الأفق الجمالي، إذتبني عالماً سردياً يتأسس على الصراع بين الأمكنة المغلقة التي ترمز إلى القهر، والأمكنة المفتوحة التي تمثل الحرية والمعرفة. فالبطلة)سارو(تنشأ في بيتٍ تحكمه الأم الصارمة والقيود الاجتماعية،لتبدأ رحلتها النفسية نحو فضاءاتٍ أكثر اتساعاً، بحثاً عن ذاتها في عالمٍ متخيلٍ هو "أنتوليا"، الذي يجمع بين الواقعي والأسطوري. من خلال هذا التحول، يتضح أنّ المكان في الرواية ليس إطاراً زمنياً للأحداث فحسب، بل هو أداةٌ لتجسيد صراع الإنسان مع الممنوع، وتعبير عن الحاجة إلىالانعتاق من سلطة الواقع إلى فسحة الحلم. إنّ «الفضاء الروائي ليس سطحاً منبسطاً تجري عليه الأفعال، بل هو كيانٌ ديناميكيّ يتغيرّ بتغيرّ موقع الشخصية في العالم، ويكشف عن علاقات القوة والمعنى داخل النص»)إبراهيم، 2000، ص33(. وهذا التصور الذي قدمّه عبد الله إبراهيم ينسجم تماماً مع البنية التي تقوم عليها رواية أنتوليا، حيث تصُبح الأمكنة سجلاً رمزياً لمعاناة البطلة ولتطور وعيها بالوجود. ويمتدّ حضور المكان في الرواية ليشكّل علاقةً متوترة بين الداخل والخارج، بين البيت الذي يمثل القيد، والمكتبة والمغارة اللتين تمثلان المعرفة والتمرّد، وبين العالم الواقعي والعالم الموازي في "أنتوليا" الذي يرمز إلى انفتاح الأفق الفكري والنفسي. وهنا يتجلّى ما ذهب إليه سعيد يقطينفي قوله: «إنّ المكان هو البنية الأكثر قدرة على التعبير عن العلاقات الاجتماعية والثقافية في الرواية، لأنه يترجم التوتر بين الداخل والخارج، بين القهر والرغبة في الانعتاق»)يقطين، 1997، ص54(. فالمكان عند مناعي يتحول إلى كائنٍ حيّ يعُاني ويثور، ويوازي في دلالته معاناة الأنثفي مجتمعٍ مغلقٍ لا يتيح لها سوى هامشٍ ضيقٍ من الوجود وإذ تمزج الكاتبة بين الواقعية والعجائبية في تصوير المكان، فإنها تمنحه طابعاً أسطورياً يكشف عن وعيٍ وجوديّ عميق. فـ"أنتوليا" ليست مجرد قرية في زمنٍ بعيد، بل فضاء رمزيٌّ يجسد طموح الإنسان إلى التحرر من جهل الواقع وسلطته، كما تمثل انعكاساً لتجربة المرأة فيمواجهة النسيان والتهميش. وقد عبّرت يمنى العيد عن هذا البعد الوجداني للمكان حين قالت:

«المكان في الرواية الحديثة لم يعد وصفاً خارجياً، بل صار معادلاً موضوعياً للذات، إذ تقُاسالمسافة فيه بمقدار اغتراب الإنسان أو قربه من جوهره»)العيد ،2002، ص21(. وتبدو هذهالمقولة كأنها تصف بدقة التجربة السردية في أنتوليا، حيث يتحول المكان من جغرافيا إلى كينونةٍ رمزية، ومن موقعٍ للأحداث إلى مرآةٍ للذات الباحثة عن حريتها .إنّ هذه الدراسة تسعى إلى تحليل المكان في الرواية بوصفه مكوّناً سردياً فاعلاً يسهم في بناء الحدث وتشكيل الوعي، وذلك بالاستناد إلى مناهج تحليلية حديثة تجمع بين المنظور البنيويوالدلالي. كما تحاول الكشف عن وظيفة المكان في التعبير عن التوتر بين الواقع والمتخيل، وكيفأصبح في أنتوليا وسيلةً للكشف عن الذات الأنثوية وعن الصراع بين القهر والرغبة في المعرفة. فالمكان هنا ليس وعاءً محايداً للحدث، بل كيانٌ وجوديٌّ تتحاور فيه الذاكرة والمصير، والواقع والحلم، ليشكل بذلك أحد أبرز مفاتيح القراءة الجمالية والفكرية لهذه الرواية.

الفصل الأول: مفهوم المكان

يعَُدُّ المكان أحد أبرز المفاهيم المركزية في الدراسات السردية، وهو مجموعة من الأشياء المتجانسةمن الظواهر، والحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة..، تقوم بينهما علاقة شبيهة بالعلاقاتالمكانية المألوفة العادية مثل الاتصال والمسافة..، بمعنى أن المكان هو الوعاء الحاوي لجميع هذه الأشياء، وهو الإطار الذي تتشكل داخله الأحداث وتتحرك عبره الشخصيات، كما يعَُدّ الحاضن الذي يربط الإنسان بعالمه الواقعي والخيالي. ومنذ القدم، ارتبط مفهوم المكان في الوعي الإنسانيبالوجود نفسه، إذ لا يمكن الحديث عن الإنسان دون الحديث عن فضائه المكاني الذي يعُطي لتجربته بعداً حسياً ودلالياً في آنٍ واحد. فالمكان ليس مجرد موضع فيزيائي تقُام فيه الأحداث، بل هو كيان دلالي يحمل آثار الذاكرة والوجدان والهوية.وقد أولى الفلاسفة والأدباء هذا المفهوم اهتماماً خاصاً، لأنهم وجدوا فيه مرآةً لتجربة الإنسان مع العالم. ويُشير غاستون باشلار إلى هذا البعد في كتابه جماليات المكان حين يقول إننا «حين نعيش في بيتٍ ما، لا نسكن جدرانه فقط، بل نسكن ذكرياتنا فيه، ونحمل معنا صور زواياه وأصواته ورائحته»)باشلار، 1958، ص37(، وهو ما يعني أن المكان لا يُدرك بالعقل وحده، بل بالذاكرة والعاطفة أيضاً. ومن هنا يظهر الطابع المركب للمكان بوصفه حاضناً للتجربة الإنسانية، ومجالاً لتكوّن الوعي الذاتي والجماعي في آنٍ واحد، فالمكان في جوهره يمثل جزءاً من الكينونة الإنسانيةلا ينفصل عنها أما في اللغة العربية، فإنَّ المكان مشتقٌّ من الجذر)ك و ن(الذي يدل على الوجود والثبات، ويُقال في لسان العرب: «المكان موضعُ الشيء، يُقال مكّنه تمكيناً أي أثبته في موضعه»)ابن منظور، 1990، ج13، ص240(، ومن هذا الاشتقاق اللغوي يتضح أن المكان يدلّ على الاستقراروالتمكُّن، أي على حضور الكائن في فضائه. هذا البعد الوجودي جعل المكان في الثقافة العربية مرتبطاً بفكرة الانتماء، سواء إلى القبيلة أو الأرض أو الوطن، ما أضفى عليه دلالات رمزية وروحية عميقة. فالعربي القديم لم يكن ينظر إلى المكان كحيزٍ

جامد، بل كان يتماهى معه، ويجعل منه جزءاً من ذاكرته ومجاله الشعري، كما نرى في الوقوف على الأطلال الذي يُجسد امتزاج الإنسان بالمكان امتزاجاً شعورياً وفي الفكر النقدي الحديث، تجاوز مفهوم المكان معناه الجغرافي الضيق إلى معنى أوسع يتصل بالدلالة والتشكيل الفني. فالمكان لم يعد مجرد خلفيةٍ صامتة تدور فيها الأحداث، بل أصبح عنصراً فاعلاً في بناء النص السردي. ويؤكد عبد الله إبراهيم في كتابه المكان والسرد والهوية أن «المكانفي الرواية ليس خلفية صامتة، بل هو عنصر بنائي تتكوّن داخله هوية الشخصيات، وتنعكس فيه صراعاتهم ومواقفهم من العالم»)إبراهيم، 2010، ص12(. ويتضح من هذا أن المكان يشارك فيصياغة المضمون والدلالة، ويكشف عن الرؤية الفكرية التي يتبناها الكاتب، فهو مكوّن جمالي ومعرفي في آنٍ معاً. فحين ترُسم الأمكنة في الرواية، فإنها لا ترُسم فقط لتحديد الإطار، بل لإبراز الوعي الجمعي والطبقي والثقافي للشخصيات التي تعيشها. ويُشير صلاح فضل إلى أن المكان في الرواية الحديثة لم يعد إطاراً خارجياً، بل تحول إلى «طاقة رمزية تحتضن التجربة الإنسانية»)فضل، 1995، ص66(، أي أن المكان أصبح نصاً موازياً داخل النص الروائي، يحمل شفراتٍ سيميائية تسُهم في إنتاج المعنى. وبذلك يمكن القول إن المكان في الرواية يشبه اللغة من حيث قدرتهعلى التعبير والتأويل، فهو ليس فقط ما يقُال، بل ما يفُهم من خلاله. وهذا ما يجعل دراسة المكانمدخلاً أساسياً لفهم البنية العميقة لأي عمل سردي.وتتجلّى أهمية المكان أيضاً في علاقته بالزمن، فهما يشكّلان معاً ما سمّاه ميخائيل باختين بـ)الكرونوطوب(أي)الزمكاني ة(، وهي الوحدة الفنية التي يتداخل فيها الزمان والمكان ليعبرّا معاً عن رؤية الكاتب للعالم)باختين، 1981، ص84(. ومن خلال هذا التفاعل، يتحول المكان إلى حقلسردي حيّ، إذ يتغير مع تغيرّ الأحداث وتبدلّ الشخصيات، وتصبح العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة تبادلية يعُيد فيها كلٌّ من الطرفين تشكيل الآخر. ولا يقتصر حضور المكان على وظيفتهالجمالية أو البنيوية، بل يتعداها إلى كونه مكوِّناً ثقافياً يعبرّ عن طبيعة المجتمع وموقع الإنسان فيه.فاختيار الروائي لمكانٍ ما لا يكون اعتباطياً، بل يأتي محملاً بالرموز والدلالات التي تكشف عنموقفه من العالم. لذلك، فإن المكان في الأدب الحديث يعبّر عن التحولات الاجتماعية والسياسيةوالثقافية، ويغدو وسيلة لقراءة التاريخ من منظورٍ سردي وبناءً على ما تقدمّ، يمكن القول إن المكان في الرواية هو أكثر من مجرد فضاء جغرافي، إنه «كائن لغوي» يتفاعل مع باقي عناصر السرد، فيُسهم في بناء المعنى وتشكيل الرؤية. فهو الحيّز الذي يتجسد فيه الوعي، والمجال الذي تنكشف فيه علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين وبالعالم. وبهذاالمعنى، فإن دراسة المكان ليست دراسةً فرعية أو تكميلية، بل هي مدخل لفهم البنية الجمالية والفكرية للنص الأدبي.

المكان في الرواية العربية

يعَُدّ المكان في الرواية العربية الحديثة عنصراً بنائياً رئيساً، يوازي في أهميته عنصري الزمانوالشخصية، إذ يمثل الإطار الذي تتجسّد فيه العلاقات الإنسانية والاجتماعية والفكرية. وقد اتخذ المكان في الرواية العربية أبعاداً متعددة، فكان مرةً فضاءً جغرافياً يبُرز التحولات الاجتماعية والسياسية، ومرةً أخرى فضاءً رمزياً يعُبرّ عن تجربة الاغتراب والبحث عن الذات. ومن خلال تطور الرواية العربية منذ بداياتها الواقعية حتى نماذجها الرمزية والمعاصرة، يمكن ملاحظة أن المكان لم يعد مجرد خلفية للأحداث، بل تحوّل إلى عنصر فاعل في إنتاج المعنى. في البداياتالأولى للرواية العربية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كان المكان مرتبطاً بالاتجاه الواقعي الذي يسعى إلى محاكاة الواقع الاجتماعي والسياسي. فقد صوّر جرجي زيدان في رواياته التاريخية أمكنةً حقيقية مثل القاهرة ودمشق وبغداد، في محاولةٍ لربط الماضي بالحاضر، وإحياءالوعي القومي من خلال المكان. وكان المكان عنده يمثل مسرحاً للأحداث التاريخية، لكنه لم يتجاوز بعدُ كونه إطاراً سردياً. غير أن هذا المكان الواقعي تطوّر في الرواية الواقعية اللاحقة، وخصوصاً مع نجيب محفوظ الذي جعل من القاهرة نموذجاً مص غرّاً للمجتمع المصري بكل طبقاته وصراعاته. ففي الثلاثية وزقاق المدق وبين القصرين، تتحول المدينة إلى بطلٍ روائي مستقلّ، ترُصد من خلاله تحولات المجتمع واهتزاز قيمه. وقد أشار صلاح فضل إلى أن محفوظ «حوّل المكان من ديكور إلى دلالة، ومن مشهدٍ إلى لغةٍ اجتماعيةٍ ناطقةٍ بالصراع»)فضل، 1998، ص212(، أي إن المكانلم يعد مجرد خلفية بل صار جزءاً من بنية المعنى وفي هذا السياق، يتضح أن المكان الواقعي في الرواية الواقعية كان أداةً للتعبير عن القضاياالاجتماعية والسياسية، فهو يرمز إلى صراع الإنسان العربي مع محيطه وتحولاته. أما في الروايةالرمزية والحداثية، فقد انتقل المكان من الدلالة الخارجية إلى البنية الداخلية للنص، حيث أصبح فضاءً وجودياً ونفسياً. فالرواية الحديثة لم تعد تصف المكان لذاته، بل تستثمره كرمزٍ يعكس أزمةالإنسان العربي في مواجهة العزلة والتغريب والضياع. يقول جبرا إبراهيم جبرا في دراسته عن الرواية العربية: «لقد أصبح المكان في الرواية الحديثة مرآةً لاضطراب الشخصية، وصورةً لانقسام الذات بين ماضيها وحاضرها»)جبرا ،1987، ص64(. وهذا يعني أن المكان لم يعدموضوعاً خارجياً، بل تحوّل إلى انعكاسٍ لحالة الإنسان الداخلية، وإلى رمزٍ يختزن معاني التمزق والبحث عن الهوية. وتبرز في هذا الإطار روايات الطيب صالح، خصوصاً موسم الهجرة إلى الشمال، التي قدمّت نموذجاً دالاً على توظيف المكان بوصفه فضاءً ثقافياً وهوياتياً. فقرية

)ودحامد(ليست مجرد موقعٍ جغرافي، بل فضاءٌ رمزيٌّ يجمع بين الشرق والغرب، وبين الأصالة والمعاصرة، وبين الذات والآخر. وقد بيّن الناقد عبد الله إبراهيم أن الطيب صالح «جعل من المكانمجالاً لتصادم الثقافات، فالمكان هنا ليس حيزاً، بل شبكة من العلاقات التي تكشف عن أزمة الهوية في وعي الشخصية العربية»)إبراهيم، 2010، ص73(. وبهذا يصبح المكان في الرواية العربيةالحديثة عنصراً ثقافياً حاملاً لجدلية الانتماء والاغتراب. أما في الرواية الفلسطينية، فقد اكتسب المكان بعداً وطنياً ومقاوماً. فالمدن والقرى الفلسطينية، كما في روايات غسان كنفاني ورضوى عاشور، تتحول إلى رموزٍ للوجود والذاكرة والحق. ففي رواية رجال في الشمس مثلاً، يُشكّل المكان . الصحراء والخزّان . فضاءً للموت والاغتراب، يعكسمأساة اللاجئ الفلسطيني وضياع الوطن. وقد لاحظ ناقدٌ مثل فيصل درّاج أن «المكان في الرواية الفلسطينية هو الذاكرة المفقودة، إذ تكُتب الرواية من أجل استعادة المكان الذي أقُصي من الجغرافيا ليبقى في الوجدان»)دراج ،2000، ص121(. وهكذا أصبح المكان في الأدب الفلسطيني أداةللمقاومة وحفظ الهوية، تتجاوز الدلالة المادية إلى البعد الرمزي والروحي. وفي الرواية المغاربيةأيضاً، يحتل المكان موقعاً مركزياً، إذ يتقاطع مع قضايا الاستعمار والهوية واللغة. ففي روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج، يُقدمَّ المكان بوصفه مسرحاً للصراع بين الذاكرة الاستعمارية والهوية الوطنية. يقول واسيني الأعرج في إحدى مقالاته النقدية إن «المكان في الرواية هو الذييحفظ الذاكرة من المحو، لأنه يختزن تاريخاً لا يكُتب، بل يعُاش في اللغة والصورة»)الأعرج، 2005، ص33(. هذا التصور يجعل المكان وثيقة سردية، تعُيد من خلال الفنّ تشكيل التاريخ من وجهة نظرٍ إنسانية . ويبرز أيضاً في الرواية العربية الحديثة نوعٌ من الأمكنة الملتبسة أو)اللامكان(، وهو الفضاءالذي يعبرّ عن الغربة والضياع، مثل السجون والمطارات والمنافي، وهي أمكنة ترتبط عادةً بتجربة المنفى السياسي أو النفسي. وتكشف هذه الفضاءات عن إحساسٍ عميق باللاانتماء، حيث تتحوّل الرواية إلى محاولةٍ لاستعادة)المكان المفقو د(. وقد أشار إدوارد سعيد في تأملات في المنفى إلىأن «المنفى يجعل من المكان فكرةً مؤلمة، لأنّ الإنسان يحُرم من فضائه المألوف فيتحول المكان إلى ذاكرةٍ معلّقة»)سعيد، 1999، ص178(. ومن هذا المنظور، يصبح المكان في الرواية العربيةالحديثة وسيلة لاستعادة الذاكرة ومساءلة الوجود، لا مجرد إطارٍ للأحداث. ومن الناحية الفنية،استطاع الكتاّب العرب أن يطوّروا لغة المكان لتصبح أداةً أسلوبية وجمالية. ففي أعمال حنا مينه مثلاً، تحضر المرافئ والسفن والبحار بوصفها رموزاً للتحرر والتحدي، وقد أشار الناقد عبد الرحمن بسيسو إلى أن مينه «حوّل المكان البحري إلى معادلٍ للحرية، وجعل منه لغةً لتمرد الإنسان على القيود»)بسيسو، 1994، ص59(. فالمكان عند مينه كيان حيّ، يشارك في الصراع ويعبرّعن طاقة الإنسان في مواجهة القهر. وفي المقابل، نجد عند صنع الله إبراهيم مكاناً مضاداً، يتمثل في المدينة المزدحمة، والحيّ الشعبي، والمباني البيروقراطية، وهي فضاءات تبُرز سلطة الدولة وقسوة الواقع، فالمكان عنده هو الوجه المادي للقهر السياسي والاجتماعي.ولأن الرواية العربية تعُبرّ عن الإنسان في لحظة تحوّل، فقد أصبح المكان فيها مؤشراً على هذه التحولات. فعندما تنتقل الشخصية من مكان إلى آخر، لا يعني ذلك مجرد تغييرٍ في الجغرافيا، بل تحولاً في الوعي والرؤية. ومن هنا، فإن تحليل المكان في الرواية العربية يكشف عن رؤية الكاتب للواقع والوجود. فالمكان ليس شكلاً محايداً، بل هو الحامل الخفيّ للأيديولوجيا، كما يذهب عبد الله الغذامي إلى القول بأن «الأمكنة في النص ليست بريئة، فهي تمارس سلطتها الرمزية وتوجّه السرد نحو دلالةٍ محددة»)الغذامي، 2001، ص92(. وهكذا تتقاطع الجغرافيا مع الفكر،فيتحول المكان إلى نصٍ ثقافيٍّ مفتوحٍ على التأويل. ويمُكن القول في ضوء ما سبق إن المكان في الرواية العربية لم يعد عنصراً وصفياً، بل أصبح أداةً فنية ومعرفية تفُصح عن طبيعة التحوّل في المجتمع العربي الحديث. فهو الذاكرة حين يمُحى التاريخ، والهوية حين يغُتال الانتماء، والملاذ حين تضيع الذات في عالمٍ متغير. ولذلك فإنّ دراسة المكان في الرواية العربية هي في جوهرها دراسة للإنسان العربي في علاقته بالزمان والتاريخ والهوية، إذ لا وجود لإنسانٍ بلا مكان، ولا لمكانٍ بلا ذاكرة تحييه. ومن هنا تنبع أهمية تحليل المكان في رواية أنتوليا، التي تستند إلى وعيٍ بالمكان بوصفه كياناً فاعلاً في تشكيل الشخصية والسرد والرؤية.

الفصل الثاني: مفهوم المكان

المكان هو أحد المفاهيم الأساسية في العديد من المجالات مثل الأدب، الفلسفة، وعلم الجغرافيا،حيث يعُرَّف بشكل عام على أنه الفضاء الذي تحتله الكائنات الحية أو الأشياء. يمثل المكان البيئة التي نعيش فيها ونتفاعل معها، ويشمل كل من الفضاء المادي والمحيطي الذي يشكل أسس تجربتنااليومية. كما أن المكان يعُتبر عنصرًا جوهريًا في الأدب، حيث يتم استغلاله كمكوِّن رئيسي في بناء السرد وتطوير الشخصيات. كما يشير نصر حامد أبو زيد في كتابه "الخطاب والتأويل"(1995): «المكان ليس فقط فضاء ماديًا، بل هو أيضًا فضاء معنوي يتأثر بالتجربة البشرية ويعكسالتفاعلات النفسية والوجودية للأفراد»)أبو زيد ،1995، ص 57(إضافة إلى ذلك، المكان يتجاوز المفهوم الجغرافي ليصبح جزءًا من بنية الذاكرة والوعي الفردي والجماعي. ففي الفلسفة، يرتبط المكان بالزمان في عملية تكوين التجارب الإنسانية، ممايساهم في تشكيل الطريقة التي يعي بها الأفراد محيطهم. كما يقول عبد الفتاح كيليطو في كتابه"الأدب والذاكرة) "1995(: «المكان هو بيئة حاضنة للذاكرة، حيث يكتسب من خلالها

معانٍ جديدة، وينُظر إليه كفضاء يتداخل مع الزمن وتاريخ الأفراد»)كيليطو، 1995، ص 73(. هذهالعلاقة بين المكان والزمان تجعل من المكان مكونًا حيويًا يعكس أبعاداً وجودية عميقة داخلالنصوص الأدبية.المكان في الأدب ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو شخصية في حد ذاته يمكن أن يعبر عنحالتها النفسية والوجودية. فالشخصيات في الروايات قد تتأثر بشكل مباشر بالمكان الذي تعيش فيه،حيث يكون لهذا المكان دور كبير في تحديد توجهاتها وتفاعلاتها مع العالم. في هذا السياق، يشير إبراهيم عبد المجيد في كتابه "جغرافيا السرد) "1998(: «المكان في الأدب يعُتبر أكثر من مجرد خلفية، بل هو جزء أساسي من بناء الشخصيات وأفكارها»)عبد المجيد، 1998، ص 85(. هذاالفهم يبرز المكان كمكوِّن نفسي يعكس مواقف الشخصيات ويدفعها للتفاعل مع محيطها بشكل مؤثر. المكان في الأدب يمكن أن يكون أيضًا عنصرًا رمزيًا يعكس الصراعات الداخلية والخارجية.فالأماكن المغلقة قد تمثل العزلة أو الحبس الداخلي، في حين أن الأماكن المفتوحة قد تمثل الحريةوالانعتاق. يتيح استخدام المكان بهذه الطريقة للكتاب أن يعبروا عن موضوعات مثل الاغتراب ،الانتماء، أو البحث عن الذات. كما يوضح طه حسين في كتابه "في الأدب العربي) "1960(:«المكان ليس فقط موقعًا جغرافيًا، بل هو مساحة تسُتخدم لتجسيد القيم والمفاهيم التي تعيشها الشخصيات»)حسين ،1960، ص 102(. من خلال هذا المفهوم، يصبح المكان عنصرًا مهمًا في تفسير النضج الداخلي للصراع في النصوص الأدبية. بذلك، يعدّ المكان جزءًا لا يتجزأ من التجربة الإنسانية في الأدب، حيث يمثل تحديات الشخصيات وصراعاتها الداخلية. هذه التجربة تتجسد في كيفية تفاعل الشخصيات مع بيئاتهاالمختلفة. فالانتقال من مكان إلى آخر في الرواية قد يعني تحولًا في فهم الشخصية لنفسها أو للعالم من حولها. يتغير تصوُّر الشخصيات للمكان بمرور الزمن، مما يعكس تطورها الداخلي ووعيها بالحياة.المكان ليس ثابتاً في الأدب بل هو ديناميكي. فهو يتغير ويتحرك وفقاً لتطور الأحداث والشخصيات. يمكن أن يتحول المكان من موقع محايد إلى شخصية فاعلة تؤثر في مسار السرد .وفقًا لهذا التصور، يصبح المكان في الأدب وسيلة لفهم الهوية البشرية والصراعات الثقافية. كما يذكر يوسف إدريس في كتابه "الزمن والمكان في الأدب العربي) "1988(: «المكان في الأدب ليس فقط فضاء ثابتاً، بل هو عنصر يتحول مع تطور الأحداث، ويُظهر تفاعل الشخصيات مع محيطها»)إدريس ،1988، ص 77(.في الأدب العربي، يعتبر المكان أيضًا تعبيرًا عن ثقافة معينة. فهو يعكس القيم الاجتماعية والدينية التي تملي على الشخصيات تصرفاتها. من خلال تفاعل الشخصيات مع المكان، يمكننا فهمالكثير عن المجتمع الذي تنتمي إليه. كما يلاحظ زكريا تامر في كتابه "الفضاء والزمن في الأدبالعربي) "2001(: «المكان في الأدب العربي يعكس علاقة الشخصية بالثقافة التي تنتمي إليها،حيث يكون للمكان دور كبير في تشكيل الوعي الجمعي»)تامر، 2001، ص 62(. يُظهر هذا أن المكان ليس مجرد موقع جغرافي، بل هو ارتباط وثيق بالهوية الثقافية. بما أن المكان هو جزء من الكيان الاجتماعي والنفسي للأفراد، فإنه يعمل أيضًا على بناء الهوية الشخصية. فالمكان لا يقتصر فقط على احتلال الفضاء، بل هو ما يمنح الأفراد القيموالاتجاهات التي تحكم تفاعلاتهم مع بعضهم البعض ومع العالم. في هذا الصدد، يُلاحظ إبراهيم عبد المجيد في "شخصيات الرواية العربية) "2004(: «المكان في الرواية يشكل الشخصياتويؤثر في قراراتها، حيث تكون العلاقة بين الشخصية والمكان دائمًا علاقة متفاعلة»)عبد المجيد،2004، ص 90(. المكان يعكس أيضًا الوجود الداخلي للأفراد في الأدب، حيث يكون امتداداً للذات ومصدرًا للفهم الذاتي. فهو ليس مجرد عنصر خارجي بل جزء من التكوين النفسي للشخصيات. في هذا السياق، يشير عبدالله الغذامي في "الرمز في الأدب العربي) "1992(: «المكان يشارك في تشكيلالهوية الداخلية للشخصية ويؤثر في إدراكها للعالم من حولها»)الغذامي، 1992، ص 81(. المكانيكتسب معانًا متعددة في الأدب، ويصبح وسيلة لفهم الصراع بين الذات والآخر في الختام، يصبح المكان في الأدب أكثر من مجرد مكان مادي؛ إنه عنصر حيوي يعكستطور الشخصيات، وعلاقتها بالعالم، ويشارك في بناء التوترات الدرامية التي تحرك السرد. المكان هو البعد الذي يتفاعل فيه الماضي والحاضر، ويعكس تنقلات الشخصيات من العزلة إلى الانفتاحعلى العالم. وعليه، تبقى دراسة المكان أحد الأدوات الأساسية لفهم النصوص الأدبية والتفاعل مع أبعادها النفسية والثقافية.

مفهوم المكان المفتوح

المكان المفتوح يشير إلى الفضاء الذي يتيح للإنسان التفاعل بحرية، ويتجاوز الحواجز الماديةوالرمزية التي قد تحاصره في الفضاءات المغلقة. إن مفهوم المكان المفتوح يتصل بشكل وثيقبالحرية الفردية، حيث يُسمح للذات بالتنقل والتجربة بعيداً عن القيود التي تحد من حركة الفرد.المكان المفتوح لا يعُتبر مجرد مساحة مادية، بل هو بيئة تتيح للإنسان اكتشاف الذات والانطلاق في مسارات غير متوقعة. كما يوضح نصر حامد أبو زيد في كتابه "الخطاب والتأويل) "1995(:«المكان المفتوح هو الفضاء الذي يعكس الحرية في التنقل والتفكير، حيث يمكن للذات أن تتنقل بين الحواس والأفكار بلا قيود»)أبو زيد ،1995، ص 58(.من ناحية أخرى، يتعدى المكان المفتوح الفكرة المكانية المادية ليصبح جزءًا من عملية التفكير والتحرر الفكري. فهو يشكل نقطة التقاء بين الزمان والمكان، حيث يُتوقع أن يواجه الفرد تحديات جديدة نتيجة لتوسعه في هذا الفضاء.

كما يشير عبد الفتاح كيليطو في "الأدب والذاكرة"(1995): «المكان المفتوح في الأدب يعُتبر ساحة حرية ومساحة لابتكار تجارب جديدة، حيث تكون الشخصيات قادرة على تخطي قيود الزمان والمكان التقليديين» (كيليطو ،1995، ص 78).من خلال هذا الفهم، يصبح المكان المفتوح أداة لتوسيع الأفق البشري وتفعيل الوعي الشخصي.المكان المفتوح في الفلسفة يعكس البحث الدائم عن الذات والوجود. في هذا الفضاء، تزدادالفرص للاكتشاف والتجربة الشخصية. يتم تكوين الوعي الفردي في هذا النوع من الأماكن من خلال الاتصال بالآخرين وبالبيئة. وبذلك، يتحول المكان المفتوح إلى فضاء يعكس التحرر منالقيود الاجتماعية والثقافية. كما يوضح إبراهيم عبد المجيد في "جغرافيا السرد) "1998(: «المكان المفتوح في الفلسفة يعبر عن الحاجة المستمرة للانفتاح على العالم، والتفاعل معه في سعي لاكتشاف الذات» (عبد المجيد ،1998، ص 90(عند النظر إلى المكان المفتوح من منظور اجتماعي، نجد أنه يرتبط بالتحرر من القيودالجماعية والتقاليد المتعارف عليها. هو الفضاء الذي يتيح للفرد اكتشاف إمكانياته بعيدًا عن الضغوطالاجتماعية. يعكس المكان المفتوح الرفض المستمر للمحددات الاجتماعية التي قد تحاصر ا لأفراد وتعيق تطورهم. كما يقول طه حسين في "في الأدب العربي) "1960(: «المكان المفتوح في الأدبيمثل مكانًا للحرية والتفاعل، حيث يُسمح للإنسان بتحدي الأعراف الاجتماعية والتمرد على القيود المفروضة عليه» (حسين ،1960، ص 105(المكان المفتوح أيضًا ينُظر إليه على أنه مساحة للتجربة الروحية والفكرية، حيث يُتوقع أن يكون هذا الفضاء مصدرًا للإلهام والتحفيز الشخصي. فهو لا يتسم فقط بالحرية الحركية، بل أيضًا بالقدرة على إعادة تشكيل الأفكار والمفاهيم. يشير يوسف إدريس في "الزمن والمكان في الأدبالعربي) "1988(: «المكان المفتوح يوفر للفرد فرصة لإعادة تشكيل ذاته وإعادة التفكير في مفاهيمه الخاصة حول الحياة والعالم» (إدريس، 1988، ص 64(. يصبح المكان المفتوح هنا مكانًا لتجديد الوعي الشخصي والمجتمعي، حيث يمكن أن تبدأ عمليات التغيير والتحول.من جانب آخر، يعتبر المكان المفتوح أحد الأدوات التي يستخدمها الأفراد لتحدي القيودالداخلية والخارجية. هو الفضاء الذي يوفر فرصة للشخص للانتقال من حالة الاغتراب إلى حالةالانتماء. وبذلك، يمثل المكان المفتوح فرصة لتمكين الشخص من التخلص من التحديات التي تقيدحركته العقلية والجسدية. كما يرى زكريا تامر في "الفضاء والزمن في الأدب العربي) "2001(: «المكان المفتوح هو فضاء يعكس التحولات الفكرية والنفسية للشخصيات، حيث يساعد في تطويرالوعي من خلال الحرية والاختيارات المتعددة» (تامر ،2001، ص 87(المكان المفتوح يرتبط أيضًا بالانفتاح على المستقبل والفرص الجديدة التي قد يتيحها. فهو ليس مجرد مساحة مادية للتنقل، بل هو بمثابة بوابة للإمكانات غير المحدودة التي يمكن أن يُتيحها الزمن والمكان في حياة الأفراد. كما يضيف صلاح فضل في "الزمان والمكان في الأدب العربي")2003(: «المكان المفتوح يمثل أيضًا أفقًا للإمكانات الجديدة التي يمكن أن تظهر مع كل خطوة يخطوها الفرد، حيث يتسع الأفق نحو المستقبل» (فضل، 2003، ص 122(. إن هذا التفسير للمكان المفتوح يعزز من فكرة أن هذا الفضاء هو موقع للانفتاح على العالم وعلى المستقبل بكل ما يقدمهمن احتمالات. من خلال النظر إلى المكان المفتوح كأداة للتعبير الشخصي والفكري، يتضح أن هذا المكان لا يقتصر على كونه مجرد مساحة جغرافية، بل هو مجال للتحرر العقلي والنفسي. يمثل المكانالمفتوح في الأدب والفلسفة امتدادًا للذات ورغبتها المستمرة في الاستكشاف والتطور. في هذاالسياق، يقول عبد الله الغذامي في "الرمز في الأدب العربي) "1992(: «المكان المفتوح في الأدبهو المجال الذي ينشأ فيه التفاعل بين الفرد وواقعه، حيث يتمكن الشخص من إعادة النظر فيحياته» (الغذامي، 1992، ص 93(. من هذا المنظور، يصبح المكان المفتوح وسيلة لإعادة تقييمالذات والتفاعل مع العالم بشكل جديد.وفي الختام، يمثل المكان المفتوح في الأدب والفلسفة مجالًا لتجربة الحرية الشخصية والابتكار الفكري. هو الفضاء الذي يتجاوز الحدود المادية والاجتماعية، ليصبح مكانًا للانطلاق نحو الإمكانات غير المحدودة التي يقدمها العالم الخارجي والداخلي. من خلال هذا الفهم، يعك س المكان المفتوح رغبة الإنسان المستمرة في البحث عن الحقيقة والمعنى في حياته.

الأماكن المفتوحة في رواية انتوليا أولاً: القرية فضاء النشأة والانغلاق النسبي

تقدمّ الكاتبة القرية في مطلع الرواية بوصفها الفضاء الأول الذي تتشكّل فيه رؤية البطلة للعالم.تقول الراوية: «في أحد القرى الصغيرة، تحديدًا بمدرسة الإعدادية كانت سارو تدرس بالصفالثاني) »...مناعي، ص 9(. إن هذا المشهد الافتتاحي يضع القارئ أمام فضاء طبيعي رحبظاهريًا، لكنه سرعان ما يُختزل في نطاق اجتماعي ضيق تمُارَس فيه الرقابة الأبوية والأنثوية معًا. وقد أشار ميخائيل باختين إلى مثل هذا التوتر في الفضاء الروائي بقوله إن «المكان ليس بنية هندسية، بل حقل صراع بين قوى الحرية وقوى المنع، يتكوّن فيه المعنى من تفاعل الداخل والخارج» (باختين ،1981، ص 243(يتجسّد هذا الصراع بوضوح حين تقول البطلة: «ترى أن الخروج من المنزل سوى للدراسة أيضًا، لهذا لا تسمح لي بزيارة الجيران» (مناعي، ص 10(. فالقرية، على الرغم من اتساعها الجغرافي، تعُاد صياغتها من خلال نظرة الأم إلى الخارج باعتباره تهديداً لا مجالًا للحياة. وهنا تظهر المفارقة: المكان المفتوح يُختزل إلى رمز للمنع. من خلال ذلك تكشف الرواية عن جدليةالحرية والرقابة التي تحكم الوعي

الأنثوي في بيئة محافظة. فالمكان المفتوح في هذه المرحلة لا يُقاس بالمساحة، بل بمدى تمكّن الشخصية من الفعل داخله، وهو ما يضفي على القرية معنى الازدواج بين الألفة والاختناق.

ثانياً: الطريق مجال التحول والعبور

يتحوّل الطريق في أنتوليا إلى الفضاء الذي يبدأ فيه الانعتاق الحقيقي. فحين تغادر البطلة بيتها لتشتري هاتفًا سرًّا، تصف الرواية لحظة الخروج بقولها: «وركبت دراجتها حتى تنطلق بسرعة نحو المدينة، فمرت ببيوت عدة حتى وصلت إلى منزل صديقتها) »مناعي، ص 12(. إن هذا الفعلالبسيط — ركوب الدراجة والخروج — يعبرّ عن أول تمرّد على سلطة الداخل. ومن منظورنقدي، يرى سعيد يقطين أن «الطريق في الرواية الحديثة ليس مجرّد محور مكاني، بل هو فضاء دلالي يتجسد فيه عبور الشخصية من الثبات إلى التحوّل، ومن الانغلاق إلى ال تجريب»)يقطين،1997، ص 112(ينسحب هذا التصور تمامًا على تجربة سارو، فالطريق بالنسبة لها ليس مسافة مادية بين القرية والمدينة، بل ممرّ إلى وعي جديد بذاتها. وهي حين تقول لصديقتها: «علينا العودة، ستغضب أمي إن تأخرت) »مناعي، ص 13(، تكشف أن الحرية في الطريق مؤقتة، مرتبطة بحدود الخوفوالزمن. ومع ذلك، فإن كل خطوة تقطعها خارج البيت تعُيد صياغة علاقتها بالسلطة. هنا يصبح المكان المفتوح فضاءً لامتحان الإرادة، يختبر فيه السرد قدرة البطلة على التمرد. فالطريق في الرواية يجمع بين عنصر المغامرة والقلق، ويتحوّل إلى صورة مجازية للعبور من الطفولة إلىالوعي، ومن الخضوع إلى التجربة الفردية. وهكذا يغدو الطريق علامة على بداية الوعي بالمكانكقيمة وجودية، لا كحيز جغرافي فحسب.

ثالثاً: المغارة فضاء الكشف والمجهول

تبلغ تجربة المكان المفتوح ذروتها في فضاء المغارة، التي تكتشفها سارو وصديقتها في الجبل بعدرحلة بحث شاقة. تصف الرواية المشهد بقولها: «وجدتا مغارة على بعد خمسين قدمًا، وما إنوصلا أمامها حتى تهيأت لسارو رؤى غريبة عن ممالك قديمة لكنها تجاهلتها وتابعن السير»)أنتوليا، ص 54(. هنا يتحول المكان المفتوح إلى فضاء ميتافيزيقي يتجاوز الواقع، فتغدو المغارةبوابة العبور إلى عالم آخر، يجمع بين الذاكرة والحلم والأسطورة. ولقد لاحظ باشلار أن «الفضاءات المفتوحة الكبرى — كالسماء والبحر والكهف — لا تسُتوعَب إلا من خلال الحلم، لأنها تمثل العودة إلى أصل الكينونة، إلى رحم الأرض الذي منه يتجدد الخيال»)باشلار ،1958،ص 189(. هذا القول ينطبق تمامًا على مشهد المغارة، إذ تدخلها البطلة كمن يدخل ذاكرة الكون، لتواجه المجهول الذي يرمز إلى وعيها الباطني. إن الانفتاح هنا لا يعني فقط تجاوز المكان المادي،بل خرقًا للحدود بين الواقعي والمتخيل كما يؤكد يوري لوتمن أن «كل انتقال من فضاء مألوف إلى آخر غريب يولّد انكسارًا في النظام السردي، ويكشف عن بداية جديدة للمعنى»)لوتمن ،1977، ص 65(. في ضوء هذاالمفهوم، تمثل المغارة في أنتوليا لحظة الانكسار والتحول الجوهري في وعي البطلة، إذ تدخلهابحثاً عن كتاب غامض فتخرج منها إلى عالم رمزي جديد، تصبح فيه القراءة فعل خلاص. وهكذا،يتداخل المكان المفتوح مع فكرة المعرفة والاكتشاف، ويتحوّل من طبيعة صامتة إلى كيان يتكلم عبر التجربة. إن المغارة بما تحمله من امتداد أسطوري ورمز أنثوي، هي اكتمال رحلة الوعي المكاني في الرواية. فبعد أن كانت القرية قيداً والطريق عبورًا، تأتي المغارة لتجسّد الانفتاح المطلق؛ إنها الفضاء الذي يخُتبر فيه الوعي في أقصى درجاته، حيث تمتزج الخرافة بالواقع ويصبح المكان صورةً للذات وقد واجهت حقيقتها .

الفصل الثالث: المكان المغلق في رواية انتوليا مفهوم المكان المغلق

المكان المغلق في السرد الروائي يعُتبر فضاءً تتجسد فيه المشاعر المعقدة مثل الحصار، الخوف، والرغبة في الأمان، مما يجعل منه أداة قوية للتعبير عن التوترات النفسية للشخصيات. فهو المكانالذي تنغلق فيه الذات على نفسها، فتعيش في حالة من العزلة عن العالم الخارجي. يُحيل المكان المغلق إلى مواقف محورية في النصوص الأدبية، حيث يصبح الفضاء ذاته جزءًا من الصراع الداخلي للشخصيات. كما يقول نصر حامد أبو زيد في كتابه "الخطاب والتأويل) "1995(: «المكانالمغلق في الأدب يعُتبر مجالًا يتكثف فيه الشعور بالعجز والضغط النفسي، ويشكل ا لحواجز النفسيةالتي تحد من قدرة الشخصيات على التفاعل مع محيطها»)أبو زيد، 1995، ص 63(. من خلالهذا الفهم، يصبح المكان المغلق عنصرًا أساسيًا في الكشف عن مشاعر التقييد والخوف التي تعيشها الشخصيات.المكان المغلق، كما يراه غاستون باشلار، يتجاوز كونه مجرد بناء مادي. هو "ذاكرة نفسية"تحتوي على تفاعلات معقدة بين الأمان والخوف. يرى باشلار أن «كل بيت يحمل في طيّاته ألفقيد وألف حماية، فهو في الوقت الذي يضمّنا، يسجننا أيضًا»)باشلار، 1958، ص 57(. هذهالرؤية تعكس العلاقة المزدوجة بين الأمان الذي يوفره المكان والخوف الذي يولده في الوقت نفسه.إذا كان المكان المغلق يوفر الأمان، فإنه يفرض أيضًا قيوداً على الشخصيات، مما يجعلها محاصرةفي دوامة من الشعور بالتقييد والرغبة في التحرر.المكان المغلق في الأدب يعبّر عن تجربة النفس البشرية التي تجد نفسها محاصرة داخلقيودها الخاصة. يتيح المكان المغلق للأدب فرصة تمثيل الصراعات النفسية والاجتماعية بشكلعميق، حيث يكون الفضاء نفسه عنصراً فاعلاً في الصراع الداخلي. كما

يوضح عبد الفتاح كيليطو في كتابه "الأدب والذاكرة) "1995(: «المكان المغلق يساهم في بناء الأبعاد النفسية للشخصية،حيث يصبح سجناً داخلياً يعكس الصراع بين رغبة الشخص في الأمان ورغبته في الانطلاق»)كيليطو، 1995، ص 88(. هذا الصراع بين الأمان والانغلاق يساهم في تطوير الشخصية ويعكس التوترات الداخلية التي تشكل حياتها.من جانب آخر، يمثل المكان المغلق في الأدب شكلًا من أشكال التفاعل بين الشخصية والمجتمع. قد تكون المساحة المغلقة بمثابة تمثيل للمجتمع الذي يفرض قيوده على الأفراد، ممايخلق حالة من الاحتجاز الاجتماعي والنفسي. هذا الفهم يظهر في كتاب "شخصيات الروايةالعربية) "2002(لإبراهيم عبد المجيد: «المكان المغلق يمثل الفضاء الذي يعُزل فيه الأفراد عنالعالم، مما يعكس القيد الاجتماعي الذي يقيد حرية الشخصيات»)عبد المجيد، 2002، ص 112(. يصبح المكان المغلق إذاً رمزيًا للقيم والمفاهيم التي تفرضها الثقافة على الأفراد، مما يساهم في تشكيل مواقفهم وتفاعلاتهم.في العديد من النصوص الأدبية، نجد أن المكان المغلق يُستخدم لتعميق الصراع بين الفرد والعالم الخارجي. الشخصيات التي تعيش في أماكن مغلقة غالبًا ما تواجه صراعًا داخلياً يتجسد في محاولاتها للهرب أو التحرر من تلك الأماكن. كما يوضح يوسف إدريس في "الزمن والمكان في الأدب العربي) "1988(: «المكان المغلق في الرواية يعُتبر سجنًا رمزيًا لا يقتصر على الجدران المادية، بل يشمل القيود الاجتماعية والوجودية التي تحد من خيارات الشخصيات»)إدريس،1988، ص 78(. هذا السجن الرمزي يعكس الاغتراب الداخلي الذي تشعر به الشخصيات، مم ايعمق من الصراع النفسي. إضافة إلى ذلك، قد يكون المكان المغلق في الأدب أداة لتمثيل الغربة الذاتية التي يعاني منهاالفرد. يتم استخدام هذا المكان للإشارة إلى الانفصال بين الشخصيات وعوالمها الداخلية والخارجية،حيث يعكس الحواجز النفسية التي تمنع الشخص من الاتصال بالآخرين. كما يقول زكريا تامر في"الفضاء والزمن في الأدب العربي) "2001(: «المكان المغلق يعكس الاغتراب الداخليللشخصيات، حيث يصبح الحيز الضيق رمزًا للانعزال النفسي والوجودي»)تامر، 2001، ص63(. من خلال هذه الرؤية، يتحول المكان المغلق إلى كائن حي يعكس التوترات النفسيةوا لاجتماعية.المكان المغلق يساهم أيضًا في بناء التوتر الدرامي في الرواية، حيث يعزز من مشاعر القلق والانتظار. هذا الفضاء المغلق قد يكون نقطة انطلاق للتحولات الكبرى في السرد، حيث تشهدالشخصيات تطورات كبيرة نتيجة لتفاعلاتها مع هذا المكان. كما يذكر طه حسين في كتابه "في ا لأدب العربي) "1960(: «المكان المغلق في الرواية يعكس الاضطراب الداخلي للشخصية،ويعزز من التوتر الدرامي من خلال التفاعل المستمر بين الشخص والفضاء الذي يحاصره»)حسين ،1960، ص 109(. من خلال هذه العلاقة بين الشخصية والمكان، تتجلى التطوراتالنفسية التي تؤدي إلى تحولات درامية مهمة في السرد. في النهاية، يعد المكان المغلق في الأدب أداة قوية لاستكشاف القضايا النفسية والاجتماعية،حيث يتم تصوير الصراعات الداخلية للشخصيات بطريقة تتسم بالعمق والتعقيد. من خلال المكان المغلق، يعبر الأدب عن القيد الداخلي والخارجي الذي يواجهه الأفراد في حياتهم اليومية .كمايساهم هذا المفهوم في تمثيل معاناة الإنسان في مواجهة القيود التي تحد من حرية حركته العقليةوالجسدية. كما يقول عبد الله الغذامي في "الرمز في الأدب العربي) "1992(: «المكان المغلقيمثل الحاجز النفسي الذي يعيش فيه الفرد، ويكشف عن العلاقة بين القيد ا لشخصي والضغطالاجتماعي»)الغذامي ،1992، ص 97(.

الأماكن المغلقة في رواية انتوليا

أولاً: المنزل — فضاء الخوف والسلطة

يُطلّ المنزل في الرواية بوصفه رمزًا للأبوة المهيمنة التي تقُيّد حرية البطلة تحت ذريعة الحماية.فحين تقول الراوية: «كانت والدتها لا تسمح لها باقتناء حيوان أليف ولا قص شعرها، ولا تسمحلها بزيارة الجيران، وترى أن الخروج من المنزل سوى للدراسة) »مناعي، ص 10(، يتضح أنالبيت لا يُقدمَّ كملاذ بل كسجنٍ تربويٍّ يكرّس الطاعة.وهذا ما يجعل المكان المغلق في الرواية يعكس ما وصفه ميخائيل باختين في تحليله للفضاءالروائي حين أشار إلى أن الأمكنة الداخلية هي «مراكز السلطة التي تعُاد فيها صياغة الوعي من خلال المراقبة والانضباط»)باختين، 1981، ص 243(. فكل تفصيلة في منزل سارو — الأبوابالموصدة، الأوامر المتكررة، الخوف من الخروج — تعُيد إنتاج الفضاء كأداة ضبط اجتماعي . لكن الكاتبة لا تقدمّ هذا الانغلاق بطريقة مباشرة، بل تزرعه في اللغة السردية نفسها؛ فالإيقاع البطيء والوصف اليومي المتكرر يُحاكيان رتابة المكان، حتى يصبح البيت صورةً عن الجمود. وهنا تتكشف براعة السرد في تحويل المألوف إلى خانق، والحميم إلى مصدر تهديد. فالمكا ن المغلق، في هذه المرحلة من حياة البطلة، هو الجدار الأول الذي تقاومه الذات الأنثوية كي تكتشفمعنى الحرية.

ثانياً: الغرفة — ملاذ العزلة والخيال

تتجسد الغرفة في الرواية كأكثر الفضاءات المغلقة حميمية، إذ تمثل الحدود الفاصلة بين عالمين:الخارج المرفوض والداخل الذي يمنح البطلة متنفسًا مؤقتاً. تقول الراوية: «كانت غرفتها عالمها الخاص، بعيدًا عن كل ما يزعجها، فهي تشعر أن والدتها تحتجزها فيه) »مناعي، ص 10(.

في هذا المقطع تتحول الغرفة إلى مرآة نفسية تكشف هشاشة الذات، فهي المكان الوحيد الذي يمكنهاأن تحلم فيه وتكتب وتتخيل، لكنه في الوقت نفسه يذكّرها بعجزها عن الخروج. وهنا تستحضر الكاتبة ما عبّر عنه باشلار حين اعتبر أن الغرفة «زاوية الحلم التي تحمي الكائن من ضجيج العالم،ولكنها تزرع فيه في الوقت نفسه وهم الانفصال»)باشلار، 1958، ص 73(. هذا التصوّر يتفاعل بوضوح في أنتوليا؛ فالغرفة التي يفترض أن تكون فضاء أمان تصبح فخًّا ناعمًا يحبس البطلة داخل خيالها.تنام سارو لتحلم بعوالم بديلة، وتفتح نافذتها كأنها تبحث عن ممرّ سري إلى العالم الآخر. وهنا يظهر ما وصفه يوري لوتمن بأن المكان المغلق في السرد هو «منطقة التوتّر بين الوعي والرغبة، حيث يعُاد إنتاج الواقع داخل الخيال»)لوتمن، 1977، ص 65(. بهذا تصبح الغرفة في الروايةأكثر من جدار وأثاث؛ إنها البنية الرمزية التي تحتضن الوعي المقموع وتحوّله إلى خيالٍ متمرّد. ومن داخل هذا الحيز الصغير تبدأ رحلة الحلم التي ستقودها لاحقًا إلى اكتشاف المكان المفتوح في المغارة. فالمغلق هنا ليس نقيضًا للمفتوح بقدر ما هو تمهيد له، وكأن الانغلاق شرطٌ ضروريٌّللانعتاق.

ثالثاً: المدرسة — قيد التعليم المو ج هـ

على الرغم من أن المدرسة في العادة فضاء اجتماعي مفتوح للمعرفة، إلا أنها في أنتوليا تُقدَّم كمؤسسة مغلقة تحكمها الطاعة والانضباط أكثر مما تحكمها الرغبة في التعلم. يظهر ذلك منذالجملة الأولى في الرواية: «كانت سارو تدرس بالصف الثاني حيث تزاول دراستها رفقة زميلاتها،ورغم أنها تلميذة مجتهدة إلا أنها لم تحظ بعدد كبير من الأصدقاء) »مناعي، ص 9(. هذه العبارةالتي تبدو بسيطة تكشف عن عزلة داخل فضاء يفترض أنه جماعي. فالمدرسة هنا ليست مجالًا للتفاعل بل استمرارًا للقيود الأسرية في شكل أكثر نظامية. وهنا تلتقي الرؤية السردية مع ما طرحهسعيد يقطين حين اعتبر أن المكان المغلق في الرواية العربية الحديثة يمثل «المؤسسة التي تعُيد إنتاج الخضوع باسم النظام، وتحوّل الفضاء التعليمي أو الإداري إلى امتداد للسلطة الاجتماعية»)يقطين ،1997، ص 118(بهذا المعنى، تتحول المدرسة في أنتوليا إلى صورة مصغرّة للمجتمع القروي الأبوي الذي لا يسمح للفرد بالاختلاف. إن مقاعد الصف وجدرانه والنظام الصارم الذي يحكم الطالبات كلهاعناصر تكرّس الشعور بالعزلة. فحتى حين تكون البطلة وسط الزميلات، يهيمن الإحساس بالوحدة. المدرسة إذاً هي المكان الذي يتعلم فيه الجسد الانضباط، والعقل الخضوع، وهو ما يدفع البطلة تدريجيًا إلى البحث عن فضاء آخر تتنفس فيه ذاتها .

تحليل دلالي للمكان المغلق

من خلال هذه الفضاءات الثلاثة — المنزل والغرفة والمدرسة — تتشكل منظومة متكاملة منالعزلة والقيد. إنها الأمكنة التي تربي الطاعة وتكبح الحلم، ولكنها أيضًا، paradoxically، تهيّئالذات للتمرّد. فكلما اشتد انغلاق المكان، ازدادت الرغبة في الخروج. وهذا التوتر هو ما يمنح رواية أنتوليا طاقتها الدرامية. فالكاتبة لا تستخدم المكان المغلق كخلفية للأحداث فحسب، بل كوسيلةدرامية للكشف عن البنية النفسية للبطلة. فحين نقرأ قولها: «منذ متى تأخذين مالي أيتها الفتاة؟» ثم«أريد بعض الخصوصية) »مناعي، ص 16–22(، نرى كيف تتحول الجدران إلى ساحة مواجهةرمزية بين صوتين: صوت السلطة وصوت الذات. إن التحليل المكاني هنا يكشف عن البنية الرمزية الأعمق في الرواية: فالمغلق لا يواجه المفتوح فحسب، بل يخلقه. فداخل كل جدارٍ ضيقٍ في أنتوليا تكمن رغبة خفية في الانفتاح. وبذلك يحقق النص توازنًا بين الضغط والتحرر، ليصبح المكانالمغلق هو المحرّك النفسي الأول في رحلة الوعي.

الخاتمة

في ضوء ما سبق من تحليلٍ نظري وتطبيقي، يمكن القول إنّ رواية "أنتوليا" للكاتبة سارة مناع يتمثّل تجربة سردية متميزّة في توظيف المكان بوصفه عنصراً بنائياً ودلالياً محورياً، يتجاوز دوره التقليدي كإطارٍ للأحداث ليصبح لغةً رمزية تعبرّ عن تحولات الذات الأنثوية وصراعاتها. لقد أظهرت الدراسة أنّ المكان في هذه الرواية ليس حيزّاً مادياً فحسب، بل هو كيا ن وجوديٌّ تتجلّى فيه العلاقة الملتبسة بين الحرية والقيد، وبين الداخل والخارج، وبين الواقع والحلم. فالبيت،والغرفة، والمدرسة تشكّل فضاءات مغلقة تمارس فيها السلطة الأبوية حضورها المهيمن، في حين تجُسّد القرية، والطريق، والمغارة فضاءات مفتوحة تمكّن البطلة من ا لانعتاق التدريجي نحوالوعي والمعرفة والحرية.كما اتضح أنّ الكاتبة استطاعت أن تخلق من المكان بُنيةً سرديةً قائمة على التوتر بين الانغلاق والانفتاح، وهو توترٌ يعُبرّ عن الصراع الداخلي للبطلة سارو بين الخضوع والرغبة في التحرّر. ويُسهم هذا البناء المكاني في إغناء البنية الدلالية للنص، إذ يتحوّل كل انتقالٍ مكاني إلى انتقالٍ نفسي وفكري، وكل فضاءٍ إلى رمزٍ لمعنى أعمق يتصل بتشكّل الهوية الأنثوية في مجتمعٍ تقليديٍّ مغلق وقد أظهرت القراءة النقدية التي استندت إلى مناهج باشلار وباختين ويقطين أنّ المكان في أنتوليا يعمل كمرآةٍ للذات ووسيلةٍ لاكتشافها، فهو ذاكرةٌ تتفاعل فيها التجربة الفردية مع الوعي الجمعي. ومن خلال هذا التفاعل، تغدو الرواية رحلةً في فضاءاتٍ متعددة تعكس رحلة الإنسان في البحث عن ذاته، وعن معنى الوجود في عالمٍ يحدّ الخوف ويحرّره الحلم . إنّ

أنتوليا لا تقدّم المكان كديكورٍ سرديّ، بل كخطابٍ رمزيّ ينطوي على رؤيةٍ فلسفيةٍ للحرية والمعرفة. وبهذا المعنى، فإنّ دراسة المكان في هذه الرواية ليست مجرد تحليلٍ فني، بل هي محاولةٌ لقراءة الوعي الأنثوي العربي في علاقته بالمجتمع والخيال، لتؤكّد أن المكان — في الأدب كمافي الحياة — هو مرآة الكينونة وأفق الانعتاق من حدود الواقع نحو اتساع الوجود.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، عبد الله) .2010(. المكان والسرد والهوية: دراسات في الرواية العربية. بيروت:المركز الثقافي العربي.

٢. إبراهيم، عبد الله) .2000(. المكان في السرد العربي. الدار البيضاء: المركز الثقافيالعربي.

٣. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم) .1953(. الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة:دار الحديث.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم) .1990(. لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٥. أبو زيد، نصر حامد. "الخطاب والتأويل", المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ،1995.

٦. الأعرج، واسيني) .2005(. الكتابة في المنفى: تأملات في السرد والذاكرة. الجزائر:منشورات الاختلاف.

٧. الأعرج، واسيني) .2005(. ذاكرة الماء. بيروت: دار الآداب.

٨. باختين، ميخائيل) .1981(. خطاب الرواية: الزمان والمكان في التخييل الفني. ترجمةمحمد برادة. الدار البيضاء: دار توبقال.

٩. باختين، ميخائيل) .1981(. الكرونوتوب في الرواية. موسكو: دار التقدم.

١٠. باشلار، غاستون) .1958(. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. بيروت: المؤسسةالجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

١١. باشلار، غاستون) .1980(. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. عمّان: دار الشروق .

١٢. بسيسو، عبد الرحمن) .1994(. فضاءات البحر في أدب حنا مينه. دمشق: اتحاد الكتاّب العرب.

١٣. الجرجاني، عبد القاهر) .1992(. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر. القاهرة: مطبعةالمدني.

١٤. جبرا، إبراهيم جبرا) .1987(. الرحلة الثامنة: تأملات في الرواية العربية. بيروت: دارالآداب.

١٥. الخطيبي، عبد الكبير) .1981(. الكتابة والتجربة. الدار البيضاء: دار النشر المغربية.

١٦. درّاج، فيصل.)2000(. الرواية الفلسطينية: السرد والهوية والمقاومة. بيروت: المؤسسةالعربية للدراسات والنشر.

١٧. الصكر، حاتم) .2003(. جماليات المكان في الرواية العربية. بغداد: دار الشؤون الثقافيةالعامة.

١٨. العيد، يمنى) .1986(. الراوي: موقعه ووظيفته في النص الروائي. بيروت: دار الآداب.

١٩. العيد، يمنى) .2002(. الراوي والمروي له في الرواية العربية. بيروت: دار الآداب.

٢٠. الغذامي، عبد الله) .2001(. الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي.

٢١. فضل، صلاح) .1995(. نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار غريب.

٢٢. فضل، صلاح) .1998(. أساليب السرد في الرواية العربية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

٢٣. قدامة بن جعفر) .1983(. نقد الشعر. تحقيق كراتشكوفسكي. القاهرة: دار المعارف.

٢٤. كيليطو، عبد الفتاح. "الأدب والذاكرة", دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، الطبعةالثانية ،1995.

٢٥. لوتمن، يوري) .1977(. بنية النص الفني. موسكو: دار التقدم.

٢٦. مناعي، سارة) .2024(. أنتوليا، مكتبة نور الالكترونية.

٢٧. مرتاض، عبد الملك) .1998(. تحليل الخطاب الروائي. بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب.

٢٨. سعيد، إدوارد) .1999(. تأملات في المنفى. ترجمة ثائر ديب. دمشق: دار المدى.

٢٩. شكري، غالي) .1972(. المنتمي: دراسة في أدب نجيب محفوظ. القاهرة: دار المعارف.

٣٠. يقطين، سعيد) .1997(. تحليل الخطاب الروائي: الزمن – السرد – التبئير. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

٣١. يقطين، سعيد) .1997(. انفتاح النص الروائي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.